صور المرأة السودانية في الأمثال الشعبية

The image of Sudanese women in popular proverbs

المؤلف: مرتضى بابكر أحمد عباس
الرتبة: أستاذ مشارك في جامعة وادي النيل
الجامعة : جامعة وادي النيل / جمهورية السودان
الكلية، كلية التربية
البريد الالكتروني: alfadlapi70@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/06/27	2022/07/03	2022/07/30

Abstract

Folk proverbs are an element of folk literature that cannot be dispensed with, as they constitute the woman that reflects the life of peoples with all their different classes and categories, with its expressive connotations of the aspects of life prevailing in society. Through this study, the researcher aims to show the images drawn by the popular proverb. Sudanese women.

الملخص:

الأمثال الشعبية هي عنصر من عناصر الأدب الشعبي التي لا يمكن الاستغناء عنها إذ أنها تشكل المرآة العاكسة لحياة الشعوب بكل طبقاتها وفئاتها المختلفة، وذلك بما تحمله من دلالات تعبيرية عن مظاهر الحياة السائدة في المجتمع، ويهدف الباحث من خلال هذا الدراسة لبيان الصور التي رسمها المثل الشعبي للمرأة السودانية.

المقدمة:

عُرف الشعب السوداني بالأصالة والعراقة في التمسك بالتقاليد والموروثات والتراث الفكري والحضاري، وتعتبر الأمثال السودانية من الكلمات العفوية التي تحمل بداخلها العديد من العبر والمعاني التي استخدمها الأجداد للتعبير عن العديد من الحالات الإنسانية، لذلك هي من الأمور التي يجب أن تتعلمها الأجيال وتتناقلها عبر الزمان، حيث تتميز بوجود العديد من

الدلائل والحكم التي يتم صياغتها من خلال بعض الكلمات السهلة والعبارات العامية التي يستطيع الكبير والصغير والمتعلم والجاهل فهمها وتداولها حتى وإن لم يحصل على القدر الكافي من التعليم فيمكنه فهم الحكمة والدرس المستفاد وراء المثل الشعبي بكل سهولة ويسر.

وتعد الأمثال من التعابير الشعبية الشائعة التي تفيد في كثير من الأحيان النصح أو الإيضاح، وتأتي أحياناً للتحذير، كما تأتي أحياناً أخرى على هيئة منحى طريف حيث تقدم نقداً لاستجابات سلوكية غير مرغوبة من خلال السخرية.

والأمثال الشعبية على الرغم من أن بعضها يحمل معاني تتصف بالسطحية والضحالة وبعضها يحمل معاني لها قيمة معرفية وتوجيهية إلا أنها في مجملها تكون ملامح فكر شعبي ذي سمات ومعايير خاصة، فهي تشكل جزءاً من ملامح الشعب وقسماته وأسلوب عيشه، ومعتقداته ومعاييره الأخلاقية، وتلخص تجربة إنسانية تترد على ألسنة الناس متى ما استوجب الموقف ذكرها[1].

وقد تطرقت الأمثال إلى المرأة السودانية في كثير من المواضع وإن اتسمت تلك الأمثال بالقسوة في كثير من الأحيان إلى أنها تعد أنعكاسا صادقا للمجتمع السوداني آنذاك وقد جاءت الدراسة بعنوان : " صور المرأة السودانية في الأمثال الشعبية " وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك لتناسبه مع طبيعة الدراسة.

اعتمد الباحث في إيراده الأمثال (موضع الدراسة) على الشائع منها على السنة الناس وما أورده نعوم شقير في كتابه: " أمثال العوام في مصر والسودان والشام " ولابد أن نشير هنا إلا أن الأمثال المذكورة هنا هي ما توفر لنا على الرغم من إدراكنا التام أن هنالك العديد من الأمثال التي تناولت صور المرأة والتي لم تشملها الدراسة هنا.

المثل الشعبي السوداني

هو ذلك المثل الذي يتناوله الأفراد والجماعات في المجتمعات السودانية وهو بمثابة سجل للتجربة الإنسانية السودانية ولما يتمخض عنها من خبرات تتصل بمجالات الحياة[2].

مفهوم المثل لغة واصطلاحا:

لغة: إن معنى مادة " مثل " يتوزع في معجمات اللغة بين هذه المفاهيم (التي يختلط فيها المحسوس والمجرد): التسوية والمماثلة، الشبه والنظير، الحديث، الصفة، الخبر، الحذو، الحجة، الند، العبرة، الآية، المقدار، القالب، الانتصاب، نصب الهدف، الفضيلة، التصوير، الالتصاق، الجهد، الفراش، النمط، الحجر، المنقور، الوصف والإبانة[3].

وقد عرفه صاحب الصحاح بقوله: المثل : كلمة تسوية، يقال : هذا مثْله ومثَله ، كما يقال شبهُ وشبهَه، والعرب تقول هو مثيل هذا، وهم أميثالهم، يريدون أن المشبه به حقير كما أن هذا حقير، والمثل: ما يضرب به من الأمثال. ومثل الشيء أيضاً : صفته. ومثلت له كذا تمثيلاً، إذا صورت له مثاله بالكتابة وغيرها[4].

والمثل مأخوذ من المثال والحذو[5]. قال تعالى: " يا أيُها النَاسُ ضُرِب مثلٌ فاستمِعُوا لهُ[6]" وأشار ابن منظور في مادة " ضرب" إلى أن ضرب الأمثال اعتبار الشيء بغيره[7]". وشرح معنى ضرب المثل بأنه الوصف والإبانة[8] " .

وعلل ابن رشيق لتسمية المثل بهذا الاسم بقوله :" إنه سمي كذلك " لأنه ماثل لخاطر الإنسان أبداً يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر... وفيه ثلاث خلال : إيجاز اللفظ، إصابة المعنى وحسن التشبيه[9]".

اصطلاحا: اختلف العلماء في تعريف المثل في الاصطلاح، فقد عرفه ابن عبد ربه بقوله: " الأمثال وشيء الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، ولم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها حتى قيل أيسر من مثل[10]". وعرفه السيوطي بقوله:" والمثل جملة مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عنها[11]".

أنواع الأمثال حسب علة نشوئها:

تنقسم الأمثال حسب علة نشوئها إلى ستة انواع:

أولا: الأمثال الناتجة عن حادث: وهي التي تقال بعد انتهاء حادث ما[12]، كقولهم (بقره وقداها وتدها[13]). والقد من قولنا قد الشي اي جعل فيه ثقبا [14]. أما الوتد فهو مازر في الأرض أو الحائط من خشب، ونقول وتد رجله في الأرض أي ثبتها[15]. فيغرز الوتد في الارض ليتم ربط البقرة عليه كي لا تهرب، فيحدث أن ترقد البقرة على الوتد فيبقر بطنها ويتسبب في موتها، فلا أحد ملام على موت البقرة لأن وتدها هو من قتلها.

ثانيا: الأمثال الناتجة عن تشبيه: وهي التي تستقي مادتها من اتخاذ شخص ما، أو شيء ما، أو حدث معين، مثالٌ يحتذى به كقولهم :(فرخ أم صنقر في البيضه ينقر[16]). أم صنقر هي الحدأة والحدأة هي طائر من الجوارح[17].

ثالثاً: الأمثال الناشئة عن قصة: والمقصود بالقصة هنا، تلك المروية أو المتداولة على ألسنة الناس، مثل قولهم في المثل (البصيرة أم حمد) فلهذا المثل قصة مشهورة وهي أن ثورا هائجا أدخل رأسه في (جرة) تجمع أهل القرية وحاولوا إخراج رأس الثور من تلك الجرة إلا أنهم لم يفلحوا فقرروا احضار البصيرة أم حمد وهي من حكماء القرية، حضرت البصيرة مهرولة وعندما شاهدت الموقف وبعد تأمل وتفكير أمرت بعض من شباب القرية بقطع رأس الثور وفعلا قاموا بذلك وحاولوا إخراج رأس الثور بعد ذلك فلم يفلحوا، وبعد تفكير عميق من البصيرة أم حمد طلبت منهم كسر (الجرة) فقاموا بكسرها واخراج رأس الثور" .

رابعاً: الأمثال الناشئة عن حكمة: كقولهم: (الدنيا إن جادت بحبل العنكبوت تنقاد وإن ولت تقطع سلاسل الحداد[18]).

خامساً: الأمثال الناشئة عن شعر، كقول أحدهم :

الابل والبنات ما منهن حودات

ومقادير الزمان ما منهن فوتات

اليبرى الهرف لابد من الوقعات

والياكل طعام المشـرك مـات[19]

حودات مأخوذة من الفعل حاد يحود أي أبعد وأزال[20]، فوتات بمعنى مهرب، أما الهرف فهو المكان الذي يزلق أو حافة النهر[21].

سادساً: الأمثال الناشئة عن القرآن الكريم والحديث الشريف، مثل قولهم في المثل((تزوجوا فقرا يغنيكم الله وسافروا مرضى يشفيكم الله[22])والمثل مأخوذ من قوله تعالى :" إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يغْنِهِمْ اللهُ مِنْ فضْلِهِ واللهُ واسعٌ عَلِيْم[23]".

ويرى فريق من الباحثين المحدثين أن قسماً كبيراً من " الأمثال القرآنية والنبوية " ما هي إلا تعبيرات تصويرية وتجريديه وتشبيهات تركيبية أطلق عليها تجاوزاً اسم الأمثال[24].

صورة المرأة في المثال الشعبية السودانية:

ظلت الامثال السالبة تلاحق المرأة السودانية منذ ولادتها حتى وفاتها، فهناك الكثير من الأمثال التي تعبِّر عن رفض الأنثى، والتمييز بينها وبين الذكر، مثل (الضكير لو كان فوير) الضكير: هو تصغير ضكر، والضكر: هو الذكر حيث يبدل حرف الذال إلى ضاء في اللهجة السودانية[25].

وهناك بعض الأمثال الشعبية التي ألغت دور المرأة في المجتمع مثل (عاقلة النسوان مِثِل حبة الدخان).

كما حذرت بعض الأمثال الرجال من المرأة وأظهرتها ناقصة عقل ودين ووصفتها بأنها هوائية تنجرف وراء عواطفها مثل قولهم (المَرَة ما بدوها رَسَن).

فالأمثال ترى أن أهمية المرأة ودورها في المجتمع ينعكس في مهام محدده فقط تتمثل في : الإنجاب، والأعمال المنزلية، مثل قولهم (المرأة الخرقاء ولاده). والخرقاء هي المرأة الحمقاء التي لا تحسن عملها[26] . وولاده هي صيغة مبالغة بمعنى كثيرة الإنجاب.

والمطلع على الأمثال التي تحدثت عن المرأة السودانية يجدها قد صنفت المرأة السودانية إلى عدة أنواع تنحصر في ما يلي

أولا: صورة المرأة الضعيفة التي يستهان بكل ما تفعله.

استهانت الامثال السودانية بالمرأة في بعض المواضع مثل قولهم:

(من سواهن تجارته يا خسارته).

بمعنى الذي يكثر من تزوج النساء سيخسر بلا شك.

(أم قنبور شِن بتسوي).

أم قنبور كناية عن موصوف وهي المرأة، فالقنبور هو ذيل من الشعر في الرأس[27] فالمثل يقلل من فائدة المرأة كما يشير لضعفها.

(ضربة الانتاية زي مسحة الدهناية).

(المَرَة إن بقت فاس ما بتقطع (بتشق) الراس).

(المرة قوتها في لسانها).

هذه الامثال جميعها تستهين بالمرأة وتصفها بأنها كائن ضعيف لا يخشى ولا يهاب.فضربتها مثل مسح الدهن على الجسم، وضربتها وإن كانت بالفأس فأنها لا تؤذي، وأن ما يخشى حقا من المرأة هو لسانها.

(ما تتحزم بالنسوان، فزعِن زغاريد وسلاحن بِكا).

(المتحزِّم بالنسوان عريان).

كلمة متحزم الواردة في المثلين أعلاه مشتقة من الفعل حزم الذي يعني: شد الحزام وتحزم أي شد وسطه بحبل أو غيره، والمحزم كذلك هو حزام السرج[28].

فبجانب ضعف المرأة الجسدي لا يمكننا الاستعانة بها أو الاعتماد عليها في النصرة أو المساندة فسندها بكاء و عويل.

ثانيا: صورة المرأة التي لا يؤخذ بما تقول ولا يعترف بخبرتها في شؤون الحياة.

تنصح المثال الشعبية السودانية بعدم تولي المرأة لأمور الناس، ليس في أمور الدولة فقط بل حتى امور التدبير المنزلي، والعلاقات الأسرية، فلا يترك لها هذا الأمر لتتصرف فيها وحدها فقد جاء في الأمثال:

(المَرَة ما بدوها رَسَن).

والرسن هو حبل الدابة المعروف[29] بمعنى أن المرة لا تمنح دفة القيادة.

(راي المَرَة قِربة انقدَّت في الخلا).

والقربة وعاء من الجلد يوضع فيه اللبن والماء[30].

(المرة شاورها وخالفها).

يحث هذا المثل على مخالفة رأي المرأة وإن تمت مشاورتها.

(المَرَة شَعَر تابع رقبة).

يبين هذا المثل حقيقة راسخة بها في المجتمع السوداني القديم وهو حقيقة أن المرأة دائما تابعة ولا يؤخذ برأيها .

هذه الامثال جميعها تتفق على أن المرأة لا تصلح للقيادة ولا يستند على ما تقوله ولا يأخذ برأيها فهي تابعة لغيرها تنقاد ولا تقود.

ثالثا: صورة المرأة الجاهلة التي لا تحسن التصرف.

جاء في الأمثال الشعبية:

(هبلة ومسكوها طبلة).

الهبلة او العبيطة عندما تعطى طبلة فانها تستمر في الدق عليها معتقدة أنها تعزف مقطوعة موسيقية وأن الجميع مغرم بأدائها. وهي في الحقيقة إزعاج ونشاز.ويقصد بهذا المثل أداء العمل أو الأمر المكلف به الشخص بشكل مبالغ فيه، فيصبح هذا الشخص كالأبله.

ومثل هذا المثل قولهم :
(غلفاء وشايلة موسها تطهر). والغلفاء هي المرأة غير المختونة[31]

ويضرب هذا المثل لمن يفتي ويعظ بما لايطبقه على نفسه.

(قصير ما ببل قرعة الخايبة).

قصير: هو شهر شعبان[32]، والقرع هو نوع من الياقطين، يجفف ويستعمل كإناء[33].

والخايبة يقصد بها المرأة المقصرة والكسولة. فالمثل يعني أن شهر شعبان لا يكفي المرأة الكسولة للتجهيز لشهر رمضان.

(دخانكم يدخن وجوعكم يمحن).
(دخانك عمانا وأكل ما جانا)[34].

وذلك يعني نرى الدخان من المطبخ ونشتم رائحة الطعام والدار يعمها الجوع الذي يظهر أثره على أجساد ساكني تلك الدار وشكاوى ضيوفهم.

رابعا: صورة المرأة المقبوله التي يفضلها الرجل.

تناولت بعض الأمثال الشعبية السودانية بعض الصفات التي يحبذها الرجل في المراة، والتي قد تتوفر في البعض دون الآخر.

(أم الضكور أضانها باردة).

فالمثل يمدح المرأة التي تنجب ذكورا ويحث الرجل على الاقتران بها

(أسعى الدابة السريعة، وأخد المَرَة المطيعة كلها للعمر تمتيعة).

وهذا المثل أن كان قد اثنى على فئة محددة من النساء وهي المرأة المطيعة. وفي اعتقادي أن هذا المثل يحوي بداخله شيء من الإهانة للمرأة إذ أنه قرن بينها وبين الدابة.

(أخد بت السمد تبقالك سند).

السمد: القائد، او الذي يمثل الجماعة، تبقالك: تصير لك، سند: عون.

المثل يحث على الزواج من المرأة التي نشأت في بيت كريم فهي تنتمي إلى منبت طيب حسن وهو السمد[35].

(أولى الزول يغطى ماعونه).

يحث هذا المثل على الزواج من الاقارب فزواج القريب من القريبة أولى من زواج الغرباء.

(الولادة صغرة والمشي صباح).
كذلك المرأة المفضلة للرجل هي المرأة الصغيرة في السن فهي المرأة النشيطة القادرة على الانجاب والقيام بالتربية وواجباتها الأسرية على أكمل وجه.

خامسا: صورة المرأة التي ينظر لها على انها هم على عاتق الرجل.

تنظر بعض الأمثال السودانية للمرأة على انها هم على عاتق الرجل، ملازما له حتى وفاتها. فقد جاء في الأمثال.

(المَرَة كان أخدت راجل هَم، وكان قعدت في بيتك هَم).

(البنات هَم للمات).

المثلان أعلاه يصفان المرأة بأنها هم على والدها حتى وأن تزوجت فهي هم حتى موته أو موت والدها.

(نعال أم قديد ولا مَرَة أم وِليد).

القد هو الشق والجحر والثقب[36] . بمعنى أن تلبس نعال مقدوده وتكون معرض للرمضاء والشوك وغيره افضل لك من أن تتزوج مطلقه له ولد ذكر.

(لا تاخد أم الدرفون ولو كان مدفون)[37].

والدرفون هو الطفل الصغير و جمعها درافين[38]، ومدفون يقصد بها المتوفي.

فالمثل يحث على الزواج من البكر ويحذر من الزواج من الثيب التي سبق لها الانجاب ولو كان طفلها متوفيا.

سادساً: صورة المرأة المشاكسه والمعاكسة التي لاخير فيها .

كذلك تضع الأمثال صورة للمرأة المشاكسة المعاكسة التي لاخير فيها والتي يجب على الرجل الابتعاد عنها. مثل قولهم:

(الخادم مي مرا والراكبة مي ضرا)[39].

والخادم هي الجارية التي تخدم للأنثى وللذكر، والخادم هو العبد[40]. يحمل هذا المثل على دلالته نزعة عنصرية كانت سائدة قديما في تلك الفترة التي شهدت تجارة الرقيق بالسودان حيث كانوا ينعتون المرأة صاحبة البشرة السوداء بالخادم ولو لم تخدم في بيوت الناس، فالمثل هنا يعني أن الخادم لا تصلح أن تكون زوجة أو ملجأ للرجل.

(دخانك عمانا وأكل ما جانا)[41].

المثل يصور حال المرأة التي تكثر من الحديث والوعود دون ان يكون هنالك ناتج ملموس من ذلك الحديث، مثل ما هو الحال في أبصارهم للدخان وهو يخرج من نافذة المطبخ دون أن يشاهدون طعاما يخرج منه. فهذه المثل يرسم صورة للمرأة التي لا يرجى خيرها.

(يهدوها من الكواسة تبيت بره البيت).

الكواسه مصدر من الفعل كاس أي مشى كثيرا يبحث عن شيء، والكوس هو الإبطاء في السير[42].

والمثل يضرب لمن يحاول الناس هدايته ليتوقف عن عمل غير سليم فيتفاجؤون به يأتي بعمل آخر اسوء من الأول.

(بيت الجدري ولا بيت النقري).

النقري يعني الخصومه ومراجعة الكلام[43].

فالمثل يحذر من الاقتران بالمرأة التي تكثر من تكرار الكلام فالافضل من وجهة رأي المثل أن يصاب ساكني الدار بمرض الجدري أفضل لهم من الخصومة والنزاع ومراجعة الكلام بصورة دائمة.

(المَرَة النقناقة قاطعة مال وقاطعة رزق).

والنقناقة هي التي تعيد وتراجع الكلام[44].

والمثل هذه يشبه تماما المثل أعلاه في دلالته بل أنه زاد عليه أن (النقه) التي هي تكرار الكلام – كما أسلفت – تقطع الرزق وتذهب المال.

(إحذر البلد الجيعانة والدابة الكسلانة والمَرَة الكشرانة كلها للعمر مهانة). الكشرانة هي المرأة بارزت الأسنان، نقول " كشر عن اسنانه إذ أبداها"[45].

يحذر المثل هنا من الاقتران بالمرأة بارزت الاسنان ويربط بينها وبين البلد التي أصابها القحط والدابة الكسولة التي تسير ببط، وكل تلك الاشياء يحذر منها المثل ويحث الرجل بأن يجتنبها.

(ام زمبيرى أكلى وطيرى).

أم زمبيري هو اسم لطائر السمبر[46] ، ويضرب هذا المثل للمرأة التي على قربها من الناس لا ينتفعون بها، فهي مثل طائر السمبر لايستفاد منه ببيعه ولا لحمه لانهم يعافونه.

سابعاً: صورة المرأة الشهوانية الخائنه والمنحلة أخلاقيا.

وجهت الأمثال الشعبية كثيرا من التهم للمرأة السودانية فترميها بالغدر والخيانة وعدم الوفاء فالمرأة لاتدوم على حال بل تتلون وتتبدل في حبها.

ويقول العقاد معللا لذلك :" ولا تولع المرأة بالممنوع لأنها محكومة وكفى، أو لأنها محكومة لضعفها واعتمادها على ما يمنعها، بل هي تولع بالممنوع لأنها تتدلل، ولأنها تجهل وتستطلع، ولأنها موهونة الإرادة، لا تطيق الصبر على حنة الغواية والامتناع[47] ."

فالعقاد يرى أن المرأة ضعيفة الإرادة إذا ما قورنت بالرجل، يدفعها ذلك الضعف للولوع بالممنوع .

ولقد جسد ذلك الأدب السوداني في أمثاله حيث ورد في الأمثال السودانية الشعبية :

(ما تأمن السحابة ولو ضلّت، ولا تأمن المَرَة لو صامت وصلّت).

فالمرأة في نظر هذا المثل لا أمان لها فهي أشبه بضل السحابة الذي لا يقيم طويلا وإن بدت في ظاهر أمرها تقية ورعه تصلي وتصوم.

(المَرَة ما بوادعوها).

أي لا تؤتمن. فالمثل يحذر من الركون للمرأة والوثوق بها.

(أربعة لا تشبع من أربعة عين من نظر وأذن من خبر وأرض من مطر وأنثى من ذكر).

فالمثل يؤكد حقيقة مهمة هي أن المرأة لا يمكن أن تستغني عن وجود الرجل في حياتها، شأنها شأن النظر للعين والسمع للأذن وأنتظار الأرض لهطول الأمطار.

(حذاراك منهن عند بلوغهن وعند قطوعهن).

المثل يحذر من المرأة إذا ما بلغت سن البلوغ وإذا ما انقطع عنها الطمث.

(التتعاشر فى الخلا تلد فى المراح).

المراح هو المأوى ومكان الراحة[48]. المثل هنا يشير إلى حقيقة مفادها أن المرأة إذا أهملت وإذا تركت من غير رقابة فأنها ستحبل وتجلب الفضيحة لأهل الدار.

(ابعد البيضة من الحجر والانتاية من الضكر).

فالمثل يحمل بداخله تحذيرا بعدم ائتمان المرأة مخافة العار والفضيحة.

فالمثل يؤكد على سهولة انقياد المرأة للشهوة الجنسية، لذلك حثت على وجوب إبعاد الأنثى من الذكر.

ثامناً: صورة أم البنات وأم البنين والحامل والعانس والعاقر .

كذلك تحدثت الأمثال الشعبية عن المرأة في حياتها الخاصة إذا كانت حاملا أو عاقرا أو عانسا، بل أنها ذهبت إلى أكثر من ذلك في تفصيلها لأم الولد و أم البنت.

فقد جاء في المثل:

(أضان الحامل طرشة).

يخشى على المرأة الحامل من الأخبار السيئة مخافة اصابتها بصدمة تفقدها جنينها. لذلك يقولون : أضان الحامل طرشة، فهم يدعون أو يتمنون أن تكون أذن الحامل ثقيلة حتى لا تسمع ما يؤذيها ويؤذي جنينها.

(ولداً ما ولدتو من عرقوبك إن عميت ما بيقودك) .

العرقوب هو عصب غليظ فوق العقب، ويقال عرقب الدابة أي قطع عرقوبها[49].

وتحذر الأمثال من الإعتماد على ابن الغير فهو بلا شك لن يكون تماما مثل الابن الحقيقي.

(ما بعرف رطني الاجنى بطني).

هذا المثل هو تأكيد لمعنى المثل أعلاه

(الما عندها بنيه مدفونه وهى حيه)

ترى الأمثال أن المرأة التي لم تنجب بنتا فهي أشبه بالشخص الذي يدفن حيا.

(المَرَة العاقر ضيفة في البيت).

فالمرأة العاقر التي لا ولد لها يمكن للزوج أن يتخلى عنها في أي وقت فليس هنالك ولد ولا بنت يخشى على ضياعه أو فقده إذا ما أقدم على طلاق أمه.

(البايرة أولى بيها سرير ابوها).

ومن أجل كل ذلك وكل تلك الصفات القبيحة التي أشرنا لها وضع لها الرجل العقوبة المتمثلة في :
أولا : عقوبة الضرب

فقد جاء في الأمثال (تلاتة ما ترفع منها عصا، المَرَة والنقارة والحمارة) . وكلمة نقاره الوارده في المثل هي شبه الدف من الجلد يضرب عليه، والنقار أيضا طبل صغير يصاحب الدلوكه[50].

فالمثل يجعل المرأة والطبل والحمارة في منزلة واحدة ويدعو لاستخدام العصا كوسيلة للتعامل معهم .

(أفجخ البصلة قُبَّال تبقى أصلة) .

أفجخ هو فعل أمر من فجخ أي وطئ برجله[51].

فالمثل يدعو الرجل إلى قهر المرأة مخافة أن تنقلب عليه و يحذر من أن نترك الحبل على القارب لها أو نتهاون معها وإلا أنها ستتحول إلى تلك الفصيلة من فصائل الثعابين شديدة الضرر بالإنسان.

وقد وضعت الأمثال الشعبية السودانية عقوبة أخرى للمرأة تمكن الرجل من التحكم فيها دون أن يلجأ إلى الضرب وهي :

ثانيا: عقوبة الزواج من أخرى

فقد جاء في المثال:

(المَرَة كان قلَّت أدبها دقَّها بي أخُتها).
(المرة بيدقوها بأختها).

وكلمة دق أو دقها الوارده في المثلين أعلاه تعني ضرب وجلد[52].ولكن الضرب الذي تعنيها الامثال هنا ليس هو الضرب المعروف الذي يلحق أثراً جسدياً أو نفسياً بالانسان. وإنما يعني هنا الزواج عليها من أخرى.

وعلى الرغم من أن الأمثال تدعو الرجل لتأديب المرأة عن طريق الزواج عليها إلا أنها تحذر كذلك من التعدد مثل قولهم:

(راجل المرتين أرنب بين كلبين).

فيشبه هذا المثل حال الرجل المتزوج من إمرأتين بالأرنب المطارد من قبل كلبين .

(البيت يشيل مئة راجل ما يشيل إمرأتين)[53].

المثل هنا يشير إلى صعوبة الجمع بين إمرأتين في منزل واحد فالبيت يمكن أن يستقبل مئة رجل إلا انه لايستطيع أن يستقبل إمرأتين وذلك لصعوبة اتفاق الزوجتين.

وقد وضعت الأمثال الشعبية كذلك حلاً ثالثاً للرجل يمكن ان يلجأ إليه إذا ما فشل في إصلاح حال الزوجة بالضرب أو بالزواج عليها وهو الطلاق.

ثالثا: عقوبة الطلاق

أما العقوبة الثالثة للمرأة التي وضعتها الأمثال الشعبية هي عقوبة الطلاق كقولهم:

(الشوكة بسلوها بي دربها).

وكلمة سل تعني انتزع وأخرج برفق[54].أي استخراج الشوكة في القدم يتم بنفس مكان دخولها.

فالمثل يضع الحل للزوج إذا تأذى من زوجته فعليه أن يتخلص منها ويطلقها بالحسنى فمثلما تزوجها بالحسنى يطلقها بالحسنى.

(بال المطلقة في الرجوع).

وعلى الرغم من تلك القسوة التي يمارسها المجتمع والرجل ضد المرأة إلا أن المطلقة دائما تحن إلى بيتها وأسرتها ويظل هذا الأمر شاغلا لها فللمجتمع نظرته وللأطفال همومهم.

ومن الملاحظ أن صورة المرأة في الأمثال السودانية هي صورة سالبة فيها الكثير من القسوة والظلم الواضح ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة المجتمع السوداني الذكوري والذي يمجد الرجل ويحط من مكانة المرأة وينظر لها على أنها متاع من ضمن الامتعة فللعنصر المذكر الغلبة على شاكلة قولهم (الضكير حتى لو كان فوير) و (أم الضكور أضانها باردة) و (المتحزِم بالنسوان عريان).

لذلك أغلب الأمثال التي تنتج من هذا النوع من المجتمعات تعمل على تهشيم صورة المرأة باعتبارها ملكية، وتعطي مثالاً على أهمية الرجل وحضوره وامتلاكه للمرأة ولعل ذلك شيء راسخ في المجتمع السوداني ففي الزواج يستعمل الشعب السوداني عبارة (فلان أخد بت فلان) بدلا عن قولنا أن فلان تزوج بنت فلان فعبارة " أخد " في الدارجية السودانية تعني إشترى[55]، فكانما المرأة سلعة تباع وتشترى .

وبعد وقوفنا على هذه الأمثال وجدنا قليل جداً من الأمثال الشعبية التي ترفع من شأن المرأة " بشروط أن تكون أما أو بنت أصل أو بيضاء أو شقراء، حتى ان بعض الأمثال تحمل على متنها عنصرية وتنمراً ومقاييس كرست على أنها حقائق فظلم أجيالاً من النساء والرجال[56]".

وعلى الرغم من كثرة الأمثال السالبة التي تصف المرأة و تحط من مكانتها في المجتمع السوداني إلا أن هنالك أمثال على قلتها أثنت على المرأة المطيعة مثل (أسعى الدابة السريعة، وأخد المَرَة المطيعة كلها للعمر تمتيعة) وكذلك (إن قعدت نظيفة وإن قامت ظريفة)[57]"، و (بطن أمك ما بتجيب لك عدو [58]) .

الخاتمة:

وفي ختام حديثنا نشير لى ابرز النتائج التي توصلت لها الدراسة وهي:

نتائج البحث:

1- الأمثال الشعبية من أكثر أنواع الأدب السوداني انتشارا بين طبقات المجتمع المختلفة وذلك نظرا لطبيعة البلاد المترامية الأطراف باختلاف عادتها وتقاليدها ومعتقداتها وانتشار الجهل وارتفاع نسبة الأمية بين أفراد الشعب في العهود السابقة فالأمثال متاحة للجميع، يفهمها ويتعامل معه الجاهل والمتعلم.

2- حظيت المرأة السودانية باهتمام كبير في الأمثال الشعبية السودانية وذلك يؤكد على أهمية دورها في الحياة، وبالرغم من اختلاف نظرة الرجل لها تظل علاقة المرأة السودانية بالرجل علاقة ود واحترام، فلم يجد الباحث مثلا واحدا تقلل فيه المرأة من مكانة الرجل وتتعرض فيه بالإساة له.

3- تشكل الأمثال الشعبية تحيزا واضحا للرجل ضد المرأة فبعض تلك الأمثال يهين المرأة ويقلل من شأنها، ومن الغريب أن بعض النساء يقمنا بتداول تلك الأمثال ونشرها بين الأجيال القادمة تماما كما يفعل الرجال مما يجعل الإحساس بالدونية سلوكا متوارثا يلازم المرأة السودانية.

4- لعل تلك النظرة السالبة للمرأة السودانية في الأمثال الشعبية نابعة من تركيبة المجتمع السوداني الذكوري الذي يمجد الذكر دون الأنثى.

5- تحمل بعض الأمثال الشعبية السودانية نظرة عنصرية وعرقية واضحة مثل قولهم: (الخادم مي مرا)، وفي ذلك إشارة للعنصر الزنجي .

المراجع والمصادر:

1- عبدالكريم، سمية عبدالرحمن(2009) مضمون المثل الشعبي السوداني ودوره النفسي والاجتماعي في التنشئة الاجتماعية، رسالة دكتوراه/ جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، ص1

2- عبدالكريم،سمية عبدالرحمن (2009): مضمون المثل الشعبي السوداني ودوره النفسي والاجتماعي في التنشئة الاجتماعية، رسالة دكتوراه / جامعة الخرطوم ، كلية الدراسات العليا، ص11

3- ابن دريد ، أبوبكر محمد بن الحسن: (لا تا)جمهرة اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، "لا.ط"، ، 50/2

4- الجوهري، إسماعيل بن حماد (لا تا) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ص1816

5- أبو علي، محمد توفيق: (1988)الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت، ط1، ص32

6- سورة محمد/15

7- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين : (1968)لسان العرب، دار صادر، بيروت، "لا.ط"، ، 548/1

8- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين : (1968)لسان العرب، دار صادر، بيروت، "لا.ط"، 549/1

9- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني(1981) العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل، بيروت، "لا.ط"، 280/1

10- ابن عبدربه، أحمد بن مجمد الأندلسي: (لا تا)العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، "لا.ط"، ص3

11- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: (لا تا)المزهر في علوم الأدب وأنواعها،تحقيق فؤاد علي منصور، دار إحياء الكتب العربية، "لا.ط"، 486/1

12- أبو علي، محمد توفيق: (1988)الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت، ط1، ص44

13- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص121

14- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص888

15- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص1213

16- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص128

17- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص679،264

18- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص124

19- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص117

20- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص308

21- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص1184

22- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص121

23- سورة النور/32.

24- أبو علي، محمد توفيق: (1988)الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت، ط1 ، ص45

25- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص16

26- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص330

27- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص933

28- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص274

29- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص450

30- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص893

31- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص829

32- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص912

33- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص899

34- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص123

35- إبراهيم،صلاح التوم: (2019)القيم الإسلامية في الأمثال الشعبية السودانية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة كسلا،ص34

36- إبراهيم،صلاح التوم: (2019)القيم الإسلامية في الأمثال الشعبية السودانية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة كسلا، ص889

37- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص132

38- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص373

39- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص123

40- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، 325

41- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص123

42- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص1019

43- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص1149

44- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1،ص1149

45- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص994

46- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1،نفسه: ص504

47- العقاد، عباس محمود:(1969) هذه الشجرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، ص14

48- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص1075
49- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص761
50- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص1149
51- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص841
52- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص387
53- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص121
54- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص553
55- قاسم،عون الشريف:(1972) قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط1، ص37
56- كريم، هلا: (2020)أمثال شعبية قللت من شأن المرأة على مر التاريخ، موقع صحيفة اندبندنت ، جامعة بيروت، الثلاثاء 28 يوليو.
57- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص120
58- شقير، نعوم: (لا تا)امثال العوام في مصر والسودان والشام، مطبعة المعارف، مصر، "لا.ط"، ص120